

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر وكذلك عاقبة من خالفه وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة : { إن في ذلك لعبرة لمن يخشى } فقوله تعالى : { هل أتاك حديث موسى } أي هل سمعت بخبره { إذ ناداه ربه } أي كلمه نداء { بالواد المقدس } أي المطهر { طوى } وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له : { اذهب إلى فرعون إنه طغى } أي تجبر وتمرد وعتا { فقل هل لك إلى أن تزكى } أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به وتسلم وتطيع { وأهديك إلى ربك } أي أدلك إلى عبادة ربك { فتخشى } أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعدما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير { فأراه الآية الكبرى } يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ما جاءه به من عند الله { فكذب وعصى } أي فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة وحاصله أنه كفر بقلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له .

وقوله تعالى : { ثم أدبر يسعى } أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات { فحشر فنادى } أي في قومه { فقال أنا ربكم الأعلى } قال ابن عباس ومجاهد : وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من إله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى : { فأخذه الله نكال الآخرة والأولى } أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا { ويوم القيامة بنس الرفد المرفود } كما قال تعالى : { وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون } وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله : { نكال الآخرة والأولى } أي الدنيا والآخرة وقيل المراد بذلك كلمته الأولى والثانية وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لا شك فيه الأول وقوله : { إن في ذلك لعبرة لمن يخشى } أي لمن يتعظ وينزجر